مجلة الدراسات التربوية والعلمية - كلية التربية - الجامعة العراقية
مؤتمر اللغة العربية وآدابها الدولي الثاني // أربيل 30 - 31 / 7 / 2025
doi.org/10.52866/esj.2025.22

ظاهرة الهمز
عند ابن عطية في المحرر الوجيز

م. د. آمال ياسين محمد // الجامعة العراقية / كلية الاعلام
amal.y.mohammed@aliraqia.edu.iq
د. أميرة عبد الواحد // وزارة التربية
ab4414450@gmail.com

المستخلص:

يعد تفسير المحرر الوجيز لابن عطية من التفاسير التي كان لها مساحة واسعة في الدرس اللغوي ، فقط وقف عند المفاصل الرئيسة للنظر اللغوي ، الصوتي ، والصرفي، والتركيبي ، والدلالي ، فلم يترك بقعة إلا وهو يضع لها تخريجا ، أو تحليلا ، أو رأيا ، فجاء تفسيره نقطة مضيئة في التراث العربي ، وقد جاء هذا البحث (ظاهرة الهمز عند ابن عطية في المحرر الوجيز) ليناقش قضية مهمة في مدونة ابن عطية ألا وهي ظاهرة الهمز التي لها باع كبير في العربية .

The Phenomenon of Hamzah
in Ibn ʿAṭiyyah's Al-Muḥarrar al-Wajīz

Lec. Dr. AmalYasin Mohammed
Assistant lecturer of Arabic Language, Al-Iraqia University / College of Media
amal.y.mohammed@aliraqia.edu.iq
Dr. AmeeraAbdulwahid
Ministry of Education
ab4414450@gmail.com

Abstract :

Ibn ʿAṭiyyah's Al-Muḥarrar al-Wajiz is considered one of the Qur'anic exegeses that occupied a significant place in linguistic studies. The author focused on the essential aspects of linguistic inquiry—phonological, morphological, syntactic, and semantic—providing explanations, analyses, and opinions for every relevant issue. His tafsir thus stands as a distinguished contribution within the Arabic scholarly heritage. This research, entitled The Phenomenon of Hamzah in Ibn ʿAṭiyyah's Al-Muḥarrar al-Wajiz, examines an important linguistic issue in Ibn ʿAṭiyyah's corpus: the treatment of the hamzah, which occupies a prominent position in the Arabic language.

المقدمة

تُعَدُّ ظاهرة الهمز من المسائل الصوتية الدقيقة التي شغلت اهتمام علماء العربية قديمًا وحديثًا، نظرًا لما لها من أهمية بالغة في ضبط النطق السليم، وصيانة النص القرآني من التحريف، وإحكام الأداء الصوتي في التلاوة. فقد أفرد لها علماء العربية والقراءات أبوابًا مستقلة في مؤلفاتهم، تناولوا فيها أحكامها، ومخارجها، وصفاتها، وأثرها في اختلاف المعاني، لما تثيره من إشكالات صرفية وصوتية في سياق النطق والقراءة. والهمزة في ذاتها صوت مستقل، يخرج من أقصى الحلق، ويُعَدّ من الأصوات الشديدة المجهورة، وتتعدد صور وروده في النص القرآني بين التحقيق والتسهيل والإبدال والحذف، الأمر الذي جعلها محل خلاف بين القبائل العربية قديمًا، وميدان اجتهاد بين القراء والمفسرين لاحقًا.

ومن بين أعلام التفسير الذين اعتنوا بهذه الظاهرة يظهر الإمام أبو محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي (ت 546هـ) في تفسيره المشهور المحرر الوجيز، وهو من أعظم التفاسير الأندلسية التي امتازت بالجمع بين الدقة اللغوية والتحليل البياني والفقهي والقرائي. وقد تناول ابن عطية مسائل الهمز في مواضع متعددة من تفسيره، موضحًا أصولها وأحكامها، ومستعرضًا الخلاف بين القراء في أدائها، ومبرزًا أثر هذا الخلاف في توجيه المعنى القرآني. ومن هنا تتحدد مشكلة البحث في السؤال الرئيس: كيف عالج ابن عطية ظاهرة الهمز في المحرر الوجيز؟ وما الأسس الصوتية واللغوية التي استند إليها في عرضها وترجيح بعض أوجه الأداء على غيرها؟

وتتضح أهمية البحث في كونه يسعى إلى كشف جانب مهم من جهود المدرسة الأندلسية في التفسير اللغوي والصوتي، فضلًا عن إبراز دور ابن عطية في توظيف التراث الصوتي العربي – ولا سيما ما قرره سيبويه والخليل بن أحمد – في خدمة النص القرآني وتوجيه قراءاته. كما أن الدراسة تكتسب قيمتها من كونها تبرز البعد الصوتي في تفسير المحرر الوجيز، وهو بعد لم يُولَ العناية الكافية في الدراسات السابقة، إذ اقتصرت غالبًا على بيان منهجه العام أو اهتمامه بالقراءات من منظور نحوي أو فقهي دون الوقوف تفصيلًا عند الظواهر الصوتية.

ويعتمد البحث على المنهج الوصفي التحليلي القائم على الاستقراء، وذلك من خلال جمع المواضع التي تناول فيها ابن عطية مسائل الهمز، ثم تحليلها في ضوء ما ورد عند علماء العربية والقراءات، مع المقارنة بين آرائه وآراء أئمة الصوتيات القدامى، وبيان مدى انسجامها أو اختلافها مع القواعد المقررة. كما يوظف البحث المنهج المقارن عند الحاجة، ولا سيما عند عرض الآراء المختلفة للقراء أو المفسرين في مسألة معينة.

وتتحدد أهداف البحث فيما يلي:

1. حصر المواضع التي تعرض فيها ابن عطية لمسائل الهمز في المحرر الوجيز.
2. تحليل منهجه في عرض هذه المسائل، وتوضيح طريقته في الترجيح بين أوجه الأداء.
3. الكشف عن أثر آرائه الصوتية في توجيه القراءات وتفسير المعاني القرآنية.
4. بيان القيمة العلمية لإسهامه في خدمة الدراسات الصوتية والتفسيرية معًا.
5. الإسهام في ربط جهود التراث اللغوي العربي بالتحليل الصوتي الحديث.

وفيما يخص الدراسات السابقة، فقد تناولت بعض البحوث الجهود الصوتية لسيبويه والخليل وابن جني وغيرهم في مسائل الهمز والإبدال والإدغام، كما درست بحوث أخرى ظاهرة الهمز من زاوية القراءات أو اللهجات العربية القديمة. غير أن الدراسات التي خصّت ابن عطية بالبحث في هذا الجانب محدودة، إذ ركزت غالبًا على منهجه التفسيري العام أو موقفه من القراءات، دون تخصيص دراسة مستقلة لمعالجة ظاهرة الهمز لديه. وهذا ما يمنح البحث طابعه الأصيل ويؤكد الحاجة إليه.

أما خطة البحث، فقد توزعت على مدخل وأربعة مطالب وخاتمة:

المدخل: تناول مفهوم الصوت عند القدماء وأهمية الدراسات الصوتية في الدرس العربي، مع إشارة إلى جهود الخليل وسيبويه.

المطلب الأول: الألف الموصولة وكسر همزة القطع في كلمة «أمّ»، وبيان الخلاف بين القراء والمفسرين في توجيهها.

المطلب الثاني: همزة الوصل بعد همزة الاستفهام، وقراءة كلمة (آلآن) وما يترتب عليها من توجيه قرائي.

المطلب الثالث: تخفيف همزة «سأل» في قوله تعالى: (سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ)، مع بيان أوجه القراءات وتحليلها.

المطلب الرابع: تخفيف همزة «بارئكم» في قوله تعالى: (فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِئِكُمْ)، ورصد الأوجه الأربعة الواردة فيها مع مناقشتها.

ويعقب هذه المباحث خاتمة تتضمن أهم النتائج والتوصيات.

وبهذا البناء يسعى البحث إلى إبراز معالجة ابن عطية لظاهرة الهمز معالجة علمية تجمع بين أصالة التراث ودقة التحليل، وتفتح آفاقًا لدراسات لاحقة تربط بين علم الأصوات العربي القديم والمناهج الصوتية الحديثةِ .

مدخل :

مفهوم الصوت .

أشار ابن جني (ت392هـ) إلى مفهوم اللغة في قوله: ((هي أصوات يعبر بها كل قوم عن حاجاتهم))[1] فاستعماله لكلمة أصوات ليس استعمالا اعتباطيا، فقد أدرك هو ، ومن سبقه بأن الأصوات هي أساس اللغة، إذ تعد الظاهرة السمعية في المقام الأول في الحكم والبتّ في الاحكام اللغوية جميعها، فعلم الأصوات كما عبر عنها الدكتور شاده ((هي العناصر التي ركبت منها كلماتها كل لغة ، فلا فائدة من مطالعة المفردات، والصرف، والنحو، إلا بعد معرفة الأصوات الموجودة في اللغة التي نقصد دراستها))[2].

فاللغة التي تصدر من البشر ماهي إلا أصوات، وهي التي يتألف منها كل جزء من أجزاء الكلام، فدراستها ضرورة لمعرفة الصورة النطقية الصحيحة لأدوات بنية الكلمات.[3]

فالأصوات هي المظهر المادي الذي يساعد على دراسة اللغة دراسة موضوعية نستطيع من طريقها تحديد مكوناتها وخصائصها.[4]

فأخذ الدرس الصوتي عند علماء العربية مأخذًا مهما لإدراكهم أن فهمهم للنحو العربي وصرفهُ لا

(1) الخصائص 34/ 1.
(2) علم الأصوات عند سيبويه 14
(3) ينظر: المصدر نفسه 14
(4) ينظر: أصوات اللغة عبد الرحمن أيوب 11

يكتمل ما لم يدرسوا أصواتها، وهذا ما نجده في دراساتهم ، ولا سيما عند الخليل وتلميذه سيبويه، فعرض الأخير أهم ما تعنى به الدراسات الصوتية مشيرًا إلى أهمية المشافهة في ((تبيّن الأصوات تبيّناً صحيحاً، وهذا نحو من التنبّه إلى طبيعة الشفهية لِلغة))[1]

إذ أفرد سيبويه في كتابه في باب الإدغام كلَّ ما يخص الأصوات من مخارج الحروف وصفاتها بدقة وإحاطة وشمول، حتى قامت أغلب الدراسات الصوتية القديمة والحديثة بدراسة ما توصل إليه سيبويه[2].

وبما أن الدافع الرئيس لقيام علم العربية هو قراءة وفهم معاني القرآن قراءة سليمة ، فما كان من علماء القراءات والتجويد إلا الاستعانة بآراء سيبويه الصوتية والإفادة منها في تفسير القرآن وقراءته، وهذا حالُ معظم كتب التفسير ، ومن بينها تفسير المحرر الوجيز، فما من خلاف في قراءة ما إلا ونجد أثرَ سيبويه فيها سواء كانت القراءة تخص النحو ، أو الصرف، أو الصوت، فضلا عن المسائل الصوتية التي عُني بها في كتابه، فأبرز هذه المسائل كانت كالآتي الهمز، و الإدغام، والإبدال، ثم الاختلاس . كما سأبين ذلك :

مفهوم الهمز :

إن للهمز دلالاتٍ عدة، وأهم ما دلَّ عليه هو العصرُ، والغمز، والضغط، والشدة، والضرب[3].

قال الخليل (ت170هـ): ((الهَمْزُ: العَصْرُ، تقول: هَمَزْتُ رأسَه، [وهَمَزْت] الجَوْزَة بكفي، وإنّما سُمِّيَتِ الهَمْزة في الحروف؛ لأنّها تُهْمَزُ، فَتُهَتُّ فَتُهْمَز عن مُخْرَجها، تقول: يَهُتُّ [فلانٌ] هتًّا، إذا تكلَّم بالهمز، والهَمّاز والهُمَزَةُ: من يهمز أخاه في قفاه من خلفه بعَيْب، واللُّمَزَةُ: في الاستقبال))[4].

وأورد ابن منظور (711هـ) ((والهَمْزُ مِثْلُ الغَمْزِ والضَّغْطِ، وَمِنْهُ الهَمْزُ فِي الْكَلَامِ ؛ لأَنه يُضْغَط، وَقَدْ هَمَزْتُ الحَرْفَ فانْهَمَز، وَقِيلَ لأَعرابي: أَتَهْمِزُ الْفَارَ؟ فَقَالَ: السِّنَّوْرُ يَهْمِزُها، والهَمْزُ مِثْلُ اللَّمْزِ، وهَمَزَهُ: دَفَعَهُ وَضَرَبَهُ))[5] .

أما اصطلاحا فعرفها العلماء بالنبر[6]، إذ استعمل هذا المصطلح للدلالة على صوت الهمزة، فقديما وصف سيبويه الهمز بالنبر[7]، وكان يستعمله الفراء مكان الهمزة[8]، فضلا عن تعريف النبر بالهمز عند ابن منظور بقوله: ((النَّبْرُ بالكلام: الهَمْز. قَالَ: وكلُّ شَيْءٍ رَفَعَ شَيْئًا، فَقَدْ نَبَرَه. والنبْرُ: مَصْدَرُ نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبِرُه نَبْراً هَمَزَه))[9].

أما المحدثون فَعَرَفُوا النبر بقولهم: ((الضغط على مقطع معين بزيادة العلو الموسيقي، أو التوتر أو المدة أو عدد من هذه العناصر معا، بالنسبة إلى عناصر المقاطع المجاورة ذاتها))[10].

فالضغط الصوتي من أهم معاني النبر والهمز المستعملة عند العلماء، وهذا ما يقودنا إلى معرفة المخرج الصوتي لهذا الصوت، ولا سيما ما ناله من عناية وبحث ودراسة للتوصل إلى احكامه وعلله؛ لكونه من الأصوات التي لها مَزِيَّة وصفة خاصة عند النطق، فضلا عن علاقاتها بالأصوات

(1) أصوات اللغة عند سيبويه أحمد قدوري 5، مجلة مجمع اللغة العربية/ دمشق، مج86، ج2.
(2) ينظر: أصوات العربية بين التحول والثبات 8
(3) ينظر : مقاييس اللغة 65/ 6، ولسان العرب 426/ 5.
(4) العين 17/ 4.
(5) لسان العرب 426/ 5.
(6) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث 23.
(7) ينظر: الكتاب548/ 3.
(8) ينظر: معاني القرآن 204/ 2.
(9) لسان العرب: 189/ 5.
(10) القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث 25.

المجاورة لها، فالخليل نجده تارة يذكرها من أقصى الحلق بقوله: ((الهَمْز صوتٌ مَهتوتٌ في أقصَى الحَلْق))[1]، وتارة أخرى بأنَّهُ صوت أجوف هوائي ((وأربعة أحرف جُوْف وهي: الواو والياء والألف اللَّيِّنَة. والهمزة، وسُمِّيَتْ جوفاً ؛ لأنها تَخْرُجُ من الجوف ، فلا تَقَعُ في مدرجةٍ من مدارِج اللِّسان، ولا من مدارِج الحَلْق، ولا من مدرِج اللهاة، إنَّما هي هاويةٌ في الهواء ، فلم يكن لها حَيزٌ تُنسب إليه إلا الجَوْفَ))[2].

وقد علل المحدثون هذا الاضطراب والخلط إلى أنَّهُ عامل الهمزة معاملة حروف العلة، فضلا عن عدم قدرته على تحديد موضع دقيق عند نطقها وتعين مخرجها؛ بسبب نسبة الهمزة إلى حروف العلة مرة، ومرة أُخرى إلى عدمِ تعين مخرج صحيح لها[3].

أما سيبويه فالهمز عنده صوتٌ حلقي يخرجُ من أقصى الحلق، ويتصف بالشدة والجهر[4]،وذهب مذهبه الأزهري(ت370هـ)[5]،وابن جني[6]، وابن منظور(ت711هـ)[7].

وذهب فريق من المحدثين إلى أنَّ صوت الهمزة صوتٌ حنجري[8]، والفريق الآخر ذهب إلى أنه من الأصوات الحلقية [9]، فيتفقون مع ما ذهب إليه سيبويه، إلا أنهم اختلفوا معه في صفته ، ونفوا عنه الجهرَ مُعللين الإلتباسَ الحاصل عند سيبويه لاتصال الهمزة المتواتر بصوت الألف سبب في وضعه من ضمن الأصوات المجهورة[10].

فمن المحدثين مَن وضعهُ مع الأصوات المهموسة[11]، ومنهم من وصفهُ باللامجهور واللامهموس[12]، ويُعلل سببَ هذا الاختلاف في تحديد صفة الهمزة ؛ ((لأن مخرجها هو موضع صدور نغمة الجهر، فهي تُنطق بانطباق الوترين ، ثم انفراجهما بعد ضغط الهواء لحظة من الوقت، والجهر يحدث باهتزاز الوترين وتذبذهما))[13].

لذا أثر صوت الهمزة وطريقة تلفظها بين القبائل العربية على وضع صورتها الكتابية؛ إذ كان لكل قبيلة من قبائل العرب لهجتها الخاصة في نطق صوت الهمزة ما بين التحقيق والتخفيف ، والحذف والإبدال ، والعنعنة[14].

فقبيلة تميم مثلا تحقق الهمز، وتُخفف عند أهل الحجاز وهُذيل ، وأهل قريش والمدينة[15]، إلا أنَّ هذا التباين كان نتاج تطور عبر العصور المتتالية للغات أجمع ، فرسم الهمزة في اللغات السامية كان يعرف باسم أليف[16]، وفي العربية ألف؛ إذ وجد العربُ أنَّ (الألف) من أكثر الأصوات تَعرضًا للضغط عندما تتحركُ فما كان نتاج ذلك إلا أنْ جمعوا بين مفهومي الألف والهمزة ، وغلبتِ الهمزةُ عليها ، لتصبحَ عند القدماء حرفًا ساكنًا مع أنَّهم كانوا على علم بأنَّ الفتحة جزءٌ من الألف[17].

(1) العين 349/ 3.
(2) المصدر نفسه: 57/ 1.
(3) ينظر: دراسات في علم اللغة كمال بشر77.
(4) ينظر: الكتاب 433/ 4 و434.
(5) ينظر: تهذيب اللغة1/ 43.
(6) ينظر: سر صناعة الأعراب 85/ 1.
(7) ينظر: لسان العرب490/ 15.
(8) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث 23
(9) ينظر: دروس في علم الأصوات العربية 123
(10) ينظر: دروس في علم الأصوات العربية جان 35.
(11) ينظر: دروس في علم الأصوات العربية 123
(12) ينظر: دراسة الصوت اللغوي 315
(13) المدخل إلى علم الأصوات العربية 102.
(14) ينظر: أثر صوت الهمزة على إنشاء صورتها 197.
(15) ينظر: دراسات في فقه اللغة صبحي إبراهيم 77.
(16) ينظر: دروس في علم أصوات اللغة 121.
(17) ينظر: القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث

ويوضح ذلك الازهري (ت370هـ) بقوله: ((اعْلَم أَن الْهمزَة لَا هجاءَ لَهَا، إِنَّمَا تكْتب مرّةً ألفا، وَمرَّة يَاءً، وَمرَّة واوًا ، وَالْألف اللينة لَا حَرف لَهَا إِنَّمَا هِيَ جزءٌ من مُدَّة بعد فَتْحة... والهمزة كالحرف الصَّحِيح، غير أَنَّ لَهَا حالاتٍ من التَّلْيين والحَذْف والإبدال والتَّحقيق، تعتلّ فِيهَا))[1].

لنتوصلَ بذلك إلى أنَّ العربَ قديما كانوا يطلقون اسم الهمزة على الالف حتى صار علما على الفتحة الطويلة، فبقي يستعمل في أغلب الأحيان للدلالة على الهمزة [2]، يقول ابن جني: ((اعلم أنَّ الألف التي في أولِ حروفِ المُعجم هي صورةُ الهمزة، وإنَّما كُتبتِ الهمزةُ واوًا مرةً وياءً أخرى على مذهب أهل الحجاز في التخفيف، ولو أريد تحقيقها البتة، لوجب أن تكتب ألفا على كل حال))[3] .

وبهذا لم يكن للهمزة رسمٌ محددٌ ، بل كانت تكتب ألفا ، أو واوا ، أو ياء على حسب ما يطرأ عليها من تحقيقٍ ، أو تخفيفٍ ، أو إبدالٍ .

فما كان من ابن عطية إلَّا أنْ يقف عند الهمز مستعينًا بسيبويه مراتٍ عدَّة ليبينَ هذه الأحوال ، وأهمُّها التحقيق والتخفيف ، والمسائل التي وقفَ عندها هيَ :

أولاً: الألفُ الموصولةُ وكسرُ همزة القطع في كلمة أُمّ

حكى سيبويه شاهدا فيه لغة كسر همزة (أُمّ) عند اتصال ألف الموصلة به ، وهي لغة أخبره بها الخليل، إذ يقول: ((واعلم أن الألف الموصولة فيما ذكرنا في الابتداء مكسورةٌ أبداً، إلا أنْ يكون الحرفُ الثالثُ مضمومًا فتضمها، وذلك قولك: اقتل، استضعف، احتقر، احرنجم ، وذلك أنك قربتَ الألف من المَضموم إذ لم يكنْ بينهما إلا ساكن فكرهوا كسرةً بعدها ضمةٌ، وأرادوا أنْ يكونَ العمل من وجهٍ واحد، كما فعلوا ذلك في: مذ اليوم يا فتى، وهو في هذا أجدر؛ لأنَّهُ ليسَ في الكلام حَرفٌ أوَّلهُ مكسور والثاني مضموم، وفعل هذا به كما فعل بالمُدغم إذا أردتَ أن ترفعَ لسانك من موضع واحد، وكذلك أرادوا أن يكون العمل من وجهٍ واحدٍ، ودعاهم ذلك إلى أن قالوا: أنا أجوءك وأنبؤك، وهو منحدرٌ من الجبل، أنبأنا بذلك الخليل.

وقالوا أيضاً: لإمك. وقالوا:

اضْرِبِ الساقَيْنِ إِمُّكَ هابِل[4]

فكسرهما جميعاً كما ضم في ذلك))[5].

إذ بين أنَّ الألفَ الموصولة تكون مكسورةً في الابتداء دائما، وعند التقاءها مع كلمة مضمومة ليس بينهما ساكنٌ كسروا همزة (أُمّ) مُستدلا بهذه اللغة، وهي لغة مُعتمدة عند قُراء القرآن في قوله تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٌ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾[6].

وقد كان وقع هذه اللغة التي صارتْ قاعدة صوتية عند المفسرين ، ومن بينهم ابن عطية في كسر همزة أُمّ، وله فيها رأيان [7]:

أحداهما : كسر الهمزة اتباعا لكسر الف الموصولة أو الياء التي قبل الهمزة .

الثاني : ضم الهمزة باتفاق الجمهور إنْ لم تسبق بالألف الموصولة أو الياء .

عند تحليل هذين الرأيين نجد أنَّ أصلَ همزة

21-22.

(1) تهذيب اللغة للأزهري 490/ 15

(2) ينظر: رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية: 351.

(3) سر صناعة الأعراب: 55/ 1.

(4) ينظر: الكتاب 146/ 4

(5) الكتاب 147-146/ 4.

(6) سورة النساء أية 11.

(7) ينظر: المحرر الوجيز16/ 2.

(أُمّ) همزة مضمومة باتفاق الجمهور[1]، واكثر القراء من قرأها على الأصل ، وهي قراءة ابن كثير ونافع وعاصم وأبي عمرو بن العلاء وابن عامر[2]، ويُعللُ الفارسي (ت377هـ) ذلك بقوله[3]: ((حجة من ضمّ: أن الهمزة ليست كالهاء ، ولا في خفائِها، وإنَّما اتَّبعَ الهاء الياء والكسرة من اتبع في بِهِم، وبهي، وعليهم، ولديهم، لخفائها، وليست الهمزة كذلك، وإنْ كانتْ تقارب الهاء في المخرج، ويقوّي ذلك أَنَّهم لم يُغيّروا غيرَ همزةٍ أم هذا التغيير، ألا تَرى أَنَّ الهمزةَ في أَدّ وأفّ، مَضمومة على جميعِ أحوالِها ، وكذلك همزة أُناس)).

بينَ النَّحاس (ت338هـ) قرأتهم هذه بأنَّ (اللام) ليستْ أَصلًا من بنيةِ الكلمة ، فهي في حُكمِ المُنفَصل عنها مما دفعهم إلى ضَمها[4].

أما الرأي الأول وهو ما رجحهُ ابنُ عطية (كسر الهمزة) اتباعا لكسرة الف الوصل أو الياء، وهي قراءةٌ رجَّحها في كلِّ من قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ [5]، و﴿فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾[6]، و ﴿أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [7]، و﴿فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُ﴾[8]، وإنْ كانت غيرَ مسبوقةٍ بهما ، فالقراءةُ بالضَّم [9].

فبينَ سيبويه جواز هذه القراءة للغة المذكورة؛ إذ كسر الألف من (أُمّ) لكسرة الألف الموصولة، فضلًا عن كسرها إذا كانت مسبوقة بياء ساكنة [10]، ففي الشاهد اتباع حركة أُمّ لحركة الأول ، فكسروها لكسرة ما قبلها، فاتبعوا حركةَ الأعراب لحركةِ البناء[11].

ووضح ابنُ جني أصلَ هذا الشَّاهد بقوله[12]: ((وأصله: امك هابل، إلا أن همزة «أمك» كسرت لانكسار ما قبلها، على حدِّ قراءة من قرأ: «فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ» فصار: إمك هابل، ثم اتبع الكسر الكسر، فهجمت كسرة الإتباع على ضمةِ الإعراب، فابتزتها موضعها، فهذا شاذٌّ لا يُقاسُ عليه، ألا تراك لا تقول: قدرك واسعة، ولاعدلك ثقيل، ولا بنتك عاقلة)) .

إذ اتبعتِ الكسرةُ الثانيةُ الكسرةَ الأولى في الحركة، وهو عنده هجومُ حركةٍ على حركةٍ من غير قياس ، وهو هجومٌ شاذ لا يُقاسُ عليه.

ومنهم مَنْ عَلَلَ هذا الاتباع للتجانس عند نطق الكلمة[13]، ولمناسبة الكسرة والياء مع كسر الهمزة[14]، ومن المفسرين من عَلَّلَ قراءة حمزة والكسائي لاستثقالِ الانتقال من الضمة إلى الكسرة في الموضعين[15]، وذلك للتخفيف ؛ لأن الهمزةَ حرفٌ ثقيل، والقياس تخفيفها ، فالعربُ تستثقل اجتماعهما معا؛ إذ لا يوجد في كلامهم فِعلٌ على زنة (فِعُل)، فضلا عن كثرة استعمال اللام مع (الأُمّ) حتى صار كالكلمة الواحدة من شدة الاتصال بها، ومن عادات العرب أنَّ ما تستعملهُ كثيرا يصير فيه

(1) ينظر: كتاب فيه لغات القرآن 56.
(2) ينظر: الحجة للقراء السبعة 3/ 137.
(3) المصدر نفسه 137/ 3.
(4) ينظر: أعراب القرآن للنحاس 203/ 1
(5) سورة النجم: 32.
(6) سورة القصص: 59
(7) سورة آل عمران: 7، سورة الرعد: 39، وسورة الزخرف: 4.
(8) سورة النساء: 11.
(9) ينظر: المحرر الوجيز 16/ 2، 3 / 411، 520-196/ 4.
(10) ينظر: الكتاب 146/ 4
(11) ينظر: حاشية شرح شافية ابن الحاجب 2/ 262.
(12) الخصائص: 143/ 3.
(13) ينظر: الجامع لاحكام القرآن للقرطبي 1/ 1336
(14) ينظر: البحر المحيط في التفسير3/ 540.
(15) ينظر : مفاتيح الغيب للرازي 517/ 9

التغيير أسرع فأبدلت الضمة كسرة[1].

ثانياً: همزة الوصل بعد همزة الاستفهام

بين سيبويه أنَّ الهمزة المتحركة تُخفف إنْ كان ما قبلها ساكن ، وتلقي بحركتها على الساكن الذي قبلها، ومثل بذلك بـ (ألحمر) تخفيفا من (الأحمر)، والقاعدة عنده أنَّ الهمزة تُحقق عند الابتداء بها ، وتسقط في الدرج؛ لأنه لا يصح الابتداء بحرف مُخفف، لأنه بمنزلة الساكن، كما لا يصح الابتداءُ بالسَّاكن[2].

ويعللُ سيبويه لغةَ مَنْ خَفف (ألحمر)بـ (لحمر) بقوله[3]: ((فإن قيل: فما بالهم قالوا ألحمر فيمن حذف همزة أحمر، فلم يحذفوا الألف لما حركوا اللام، فلأن هذه الألف قد ضارعت الألف المقطوعة نحو أحمر، ألا ترى أنَّك إذا ابتدأت فتحتَ، وإذا استفهمت ثبتت، فلما كانت كذلك قويت كما قلت الجوار حين قلت جاورت، وتقول: يـاألله اغفر لي، وأفـألله لتفعلن، فتقوى أيضاً في مواضع سوى الاستفهام، ومنها: إي ها الله ذا)).

وهنا يلحظ أنهُ مَثَّل بمثالٍ لم يسقط بها همزة الوصل مع أنَّها جاءت في الدَّرج، فما كان من مثاله هذا إلا أنْ بنى عليه القُراء والمفسرون قانون السهولة والتيسير في قراءة همزة الوصل عند وقوعها بعد همزة الاستفهام، فمن أَحكام الهمزة سواء كانت متحركة ، أو ساكنة إنَّها تلتقي بهمزة أخرى، وقد يكون هذا الالتقاءُ في كلمةٍ واحدةٍ ، أو في كلمتين، فما كان من الكلمة نفسها ، فقد تدخل الهمزة على الألف واللام أو على غيرها [4]، ورُصدت في ثلاث كلمات من القرآن من ستة مواضع متفق عليها في القرآن والكلمات هي (ءآلله ، ءآلذكرين، ءآلئن)[5].

ومنه قوله تعالى: ﴿ءَآلۡـَٰٔنَ وَقَدۡ عَصَيۡتَ قَبۡلُ﴾[6]، وهو الشاهد الذي بين ابن عطية به رأي سيبويه من قول الفارسي واتفاقه مع تعليله للمسألة، إذ يقول: ((إن لام المعرفة إذا دخلت على كلمة أوّلها الهمزة، فخفّفت الهمزة فإن في تخفيفها وجهين: أحدهما: أن تحذفَ وتلقى حركتها على اللام ، وتقرُّ همزة الوصل فيقال:الحمر: وقد حكى ذلك سيبويه، وحكى أبو عثمان عن أبي الحسن أن ناسًا يقولون لحمر، فيحذفون الهمزة التي للوصل، فالذين أثبتوا الوصل أثبتوها ؛ لأنَّ التقديرَ باللام السكون، وإنْ كانت في اللفظ متحركة))[7].

إذ ذهب ابن عطية أنَّ كلَّ قراءاتِ التخفيف جاءت على وفق ما قاله الفارسي، وهو ما رجحهُ ودعا إلى تأمله؛ لأنَّ في تعليلِهِ ما يُبررُ هذه القراءات بما حكاه سيبويه[8]. فقد قرأ نافع في رواية ورش، ورواية المسيبي، وقالون ، وابن أبي أوس أَنَّهُ قرأها مستفهمة بهمزة واحدة، وقرأ الباقون بسكون اللام وهمز ما بعدها[9]، وقراءة نافع فيها وجهان بينَهُما الفارسي المَدُّ وقلبُ همزة الوصل ألفا على مذهب سيبويه في لغة الحمر فيقول: ((إمّا أن يريد أنه كان يمدُّ، فإن أراد ذلك كان على لغة من قال: الحمر، فلمّا ألحق همزة الاستفهام مدَّ، ويريد أنه كان يقطع الهمزة، فلا يصلها كما يصل، ولا يقطع إذا لم تكن للاستفهام، فإذا كان كذلك فهو على قول من قال: لحمر، ولا همزة فيه، فتنقلب ألفا مع همزة الاستفهام، ويمدّ، فهو كقوله تعالى: ﴿ءَالذَّكَرَيۡنِ

(1) ينظر: الحجة للقراء للسبعة 3/ 138
(2) ينظر: الكتاب 3/ 545.
(3) الكتاب 3/ 454-444.
(4) ينظر: الإقناع في القراءات 166.
(5) ينظر: شرح المقدمة المحسبة 1/ 208.
(6) سورة يونس: 91.
(7) المحرر الوجيز 3/ 141،
(8) ينظر: المحرر الوجيز 3/ 141.
(9) ينظر: المحرر الوجيز 3/ 141.

آلْأُنثَىٰ﴾[1] في أنّه لا يجوز أن يمدّ، ويقوي هذا الوجه ما قاله أحمد، وكذلك قال ابن أبي أويس عن نافع بهمزة واحدة، قال: وقال أحمد بن صالح عن قالون همزة واحدة بعدها مدّة، فهذا قد فسَّر، ولا يكون هذا إلا على قول من قال: الحمر ءالان))[2].

فذهب القراء هنا إلى الإبدال، فيكون عندنا همزة مفتوحة بعدها الف مَدّ بعدها لام مفتوحة، وكانت بالأصل ساكنة حُركت اللام بسبب النقل؛ إذ عملوا على أصل الكلام فأعطوه حقه، فيكون مَدًّا لازماً كلمياً مُخففاً لذا نأتي بستِّ حركاتِ إشباع، فخُففتْ بالبدل هنا تشبيهًا بهمزة أحمر، وهو إبدالٌ مُعتمدٌ قياسه عند البصريين فيما رووه أداءً[3].

أما الوجه الثاني لقراءة نافع فيقول الفارسي: ((فأما ما روى ورش عن نافع من قوله: آلآن، إنه كان يقرأ بفتح اللام ومدّ الهمزة الأولى، ولا يهمز بعد اللام، فإنَّ ذلك على قول من قال: الحمر، كأنه قال: آلآن، فأثبت همزة الوصل مع تحرك اللام، كما أثبتها في قولهم: الحمر، فإذا دخلت همزة الاستفهام قلبت همزة الوصل ألفا، فقلت: أالان))[4].

ثالثا: تخفيف همزة سأل

من العمليات الصوتية الخاصة بالهمز هي الإبدال والحذف وجعلها بين بين، وتتطلب هذه العملية إلى عنصرين صوتيين هما الهمزة نفسها مع حركتها وحركة ما قبلها، ويوضح سيبويه الأداء الصوتي للهمزة بقوله: ((اعلم أنَّ كلَ همزةٍ مفتوحة كانت قبلها فتحةٌ، فإنَّك تجعلها إذا أردت تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة، وتكون بزنتها محققَّةً، غيرَ أنَّك تضعف الصوت، ولا تتمه وتخفي؛ لأنك تقربها من هذه الألف، وذلك قولك: سأل في لغة أهل الحجاز إذا لم تحقَّق كما يحقِّق بنو تميم، وقد قرأ قبل، بين بين))[5].

ولفظة (سَألَ) من الألفاظ الصوتية التي دارَ حوْلَ نُطقها خِلافٌ مع أن الحركتين مُتفقتان، وذلك في قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾[6]. وقد ذهب القُراء والمفسرون، ومنهم ابن عطية أن (سأل) لها قراءتان بتحقيق الهمز أو بتخفيفها، ويرى ابن عطية أنها حُققت؛ لأنها على لغة اهل قريش، وهي من باب السؤال، وروي أن السائل هو النَّضر بن الحارث سأل بوقوع العذاب عليهم، فسأل سائلٌ، أي دعا داعٍ بعذاب واقع، ويضيف أنَّ مَن استفهم، فالباء هنا بمعنى (عن) والتقدير عن عذابٍ واقع[7]،

أما تخفيفها فهي قراءة نافع وابن عامر[8]، ولهذه القراءة عند ابن عطية وغيره من العلماء ثلاثة أوجه، ومنهم مَن يراها في وجهين، أو أقل مع تباين في الآراء، ولسيبويه أثرٌ واضحٌ فيها، وعند تحليها عند ابن عطية، وعند غيره فهي كالأتي:

الوجه الأول: إبدالُ الهمزة ألفا، ذهب ابن عطية إلى أنَّ تخفيفها بألف ساكنة، وخُففتْ كما خُففت في (إلا هناك المرتع)[9].

ورأي سيبويه هاهنا أنَّهُ قياسٌ غير مُتلئب، وإنما هو مسموعٌ عن العرب، ويُحفظُ عنهم، ويُعدُّ قياسيًّا عند سيبويه عند الحاجة؛ إذ قُلبت همزة هنأك الفاً عندما احتاج إلى تسكينها مثلما تُقلب الألف

(1) النجم 21.
(2) الحجة للقراء السبعة 299/ 4.
(3) ينظر: الحجة في القراءات السبع 184
(4) الحجة للقراء للسبعة 4 / 299.
(5) الكتاب: 541/ 3، 542.
(6) المعارج أية 1.
(7) ينظر: المحرر الوجيز 364/ 5.
(8) ينظر: المحرر الوجيز 5/ 364
(9) ينظر: المحرر الوجيز 5/ 364.

همزة عند الإضطرار إلى تحريكها[1]، ويعزو بعضهم إلى أنَّ هذا النوعَ من الإبدال هو إبدالٌ مسموعٌ عن العرب فيما حكاه سيبويه عنهم[2]، وأشار ابنُ عطية إلى أنَّ تسهيل الهمزة عند سيبويه هي لغة[3].

قال سيبويه: ((إنما أبدلتْ همزتُها ألفاً، وأبدلت الياء بعد، كما قال بعض العرب: راءة في رايةٍ،... ومثل الألف التي أبدلت من الهمزة... سالَتْ هُذَيْلٌ))[4]، فالهمزة في (سأل) جاءت متحركة، وما قبلها حركة فتح، والهمزتان المتفقتان يجوز تخفيفها بين الهمزة والألف الساكنة، ويكون تخفيفها بين بين، وهذا ما بينه سيبويه[5].

الوجه الثاني: إبدال الألف واواً، يقول ابن عطية: ((وقال بعض هي لغة من يقول سلت أسأل، ويتساولون، وهي بلغة مشهورة حكاها سيبويه، فتجيء الألف منقلبة من الواو التي هي عين كقال وحاق))[6].

ويعزو ابن عطية هذا الرأي إلى سيبويه ؛ لأَنَّ هذا الإبدالَ عنده بلغةٍ مشهورة عند العرب فجاز القياسُ عليه؛ إذ بلغةُ لغة سلت تسال ، وهم يتساولان من غير همز على أساس اللغة المذكورة[7].

وذهب الفارسي إلى أنها منقلبة من الواو من لغة يتساولان، فالعينُ ليست مهموزة، وإنما واو، ويعضد كلامه بما حكاه أبو عثمان عن أبي زيد بقوله: هما يتساولان، فهي بذلك مثل قال وخاف[8]، فإبدالها واوا من قولهم يتساولان هي لغة معروفة من سلت أسال كما تقول خفت أخاف[9].

الوجه الثالث: وهو إبدالُ الألفِ ياءً، وهو من سال يسيل، وهي لغة من قال: سلت، ولا تدل على معنى السؤال، وإنما تدلُّ على اسم وادٍ في جهنم يُطلق عليه سايلا[10].

واستدل ابن عطية وغيره ما يؤيد هذا الإبدال ما روي عن ابن عباس قرأته (سال سيل والسيل) مصدر في معنى السائل مثل الغور بمعنى الغائر[11]، وانفرد ابن عطية بذكر قراءة أبي بن كعب وابن مسعود بقولهم : سال سال كقال قال؛ إذ ألقيت الياء خطا للتخفيف، ويدل عن السائل[12].

ودلالة السيل على أنه وادٍ في جهنم هو ما ذهب إليه المفسرون، ويذكر ابن عطية أن كان لا يدل على الوادي ، فيكون دلالته عن أخبار وقوع العذاب، واستُعير لفظ السيل للدلالة عليه بقوله[13]: ((ويحتمل إن لم يصح أمر الوادي أن يكون الإخبار عن نفوذ القدر بذلك العذاب قد استعير له لفظ السيل لما عهد من نفوذ السيل وتصميمه))، وفسَّرها غيرُهُ بأنه وادٍ من نارٍ يسيل[14].

رابعاً: تخفيف همزة بارئكم

من المسائل التي وظَّفَ فيها رواية سيبويه والأخذ به في قوله تعالى: ﴿فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمۡ﴾[15]

(1) ينظر: الكتاب 554/ 3، وشرح كتاب سيبويه 1/ 227.
(2) ينظر: مشكل إعراب القرآن 756/ 2
(3) ينظر: المحرر الوجيز 5/ 364.
(4) الكتاب 463/ 3.
(5) ينظر: الكتاب 541/ 3
(6) المحرر الوجيز 364/ 5.
(7) ينظر: الكتاب 555/ 3، وشرح كتاب سيبويه 277/ 1.
(8) ينظر: الحجة للقراء السبعة 218/ 2، 317/ 6.
(9) ()ينظر: المحرر الوجيز 364/ 5
(10) ينظر: المحرر الوجيز 5/ 364.
(11) ينظر: المحرر الوجيز 364/ 5
(12) ينظر: المحرر الوجيز 5/ 364.
(13) المحرر الوجيز 365/ 5.
(14) ينظر: تفسير القرآن العزيز 5/ 34.
(15) البقرة الآية: 54.

إذ اختلف القُراءُ في قراءة (بارئكم)، ولهذه المسألة أوجه وآراء عند العلماء، ومن أهم هذه الأوجه ما رواه سيبويه عن أبي عمرو، وعدَّها الكثيرُ من المفسرين فيصلا في حَسم هذه القراءة، ولا سيما عند ابن عطية.

والمسألة عند ابن عطية لها أربعةُ أوجهٍ، أما بإظهار صوت الهمزة وكسرها، أو باختلاس حركتها، أو بإسكانها، أو بإبدال الهمزة ياءً[1]، ولكل وجهٍ من هذه الأوجه تعليلٌ صوتي وقراءة.

أما الوجه الأول وهو كسر عين (بارِئكم) مع إشباع صوت الهمزة، وهي قراءة الجمهور كابن كثير ونافع وابن عامر وحمزة والكسائي[2]، ويرجح الأخفش (ت215هـ) وابن خالويه (ت370هـ) هذه القراءة، وتعدُّ أحد خيارات الطبري (ت310هـ)، ويعللون ذلك بأنهم جاءوا بالكلمة على أصل ما وجب لها[3].

فكلمة (برأ) من ((البَرْءُ، مهموز: الخَلْق، برأ اللهُ الخلق يَبرَؤُهُمْ برء، فهو بارِئٌ، والبُرْءُ: السَّلامةُ من السّقم، تقول: بَرَأَ يبرأ ويبرؤ برء وبروء))[4]، فهو من ((بَرَأَ اللهُ الخَلْقَ))[5]، فأصل الكلمة هو من برأ الله الخلق، يبرأ، برأ، فبارئكم من البارئ وهو الخالق، وهو من برأ الخلق يبرؤه فهو البارئ[6]، فنلحظُ أن صوتَ الهمزةِ هو أصلٌ في لفظة الكلمة؛ لذا ذهب جمهور القُراء قراءتها بالأصل.

الوجه الثاني اختلاس الحركة، وهي قراءة ابي عمرو وهارون وهي رواية سيبويه[7]، وهذه الرواية أخذت منحًا كبيرًا من الدراسة ، والوقوف عليها عند النحاة والمفسرين؛ لأن راوي هذه القراءة سيبويه، الذي عُدَّ عند الكثير من العلماء اضبط مَنْ روى عن أبي عمرو، وهي القراءة المفضلة عند ابن عطية واختياره، فضلا عن النحاس (ت338هـ)[8]، والزجاج (ت311هـ) إذ قال[9]: ((وأحسبُ أنَّ الرواية الصحيحة ما روى سيبويه ، فإنَّهُ أضبطُ لما رَوَى عن أبي عمرو)).

إذ قال سيبويه: ((وأما الذين لا يشبعون فيختلسون اختلاساً، وذلك قولك: يضربها، ومن مأمنك، يسرعون اللفظ، ومن ثم قال أبو عمرو: « إلى بارئكم »، ويدلك على أنَّها متحركة قولهم: من مأمنك، فيبينون النون، فلو كانت ساكنة لم تحقق النون))[10]، وذهب السيرافي (ت368هـ) مذهب سيبويه أنها مختلسة ، وهي بزنة متحركة[11].

ويعلل الفارسي هذا الاختلاس بقوله[12]: ((وهذا الاختلاس، وإن كان الصوت فيه أضعف من التمطيط، وأخفى، فإن الحرف المختلس حركتهُ بزنة المتحرك، وعلى هذا المذهب حمل سيبويه قول أبي عمرو: إِلى بارِئِكُمْ ، فذهب إلى أنهُ اختلس الحركة ، ولم يشبعْها ، فهو بزنةِ حرفٍ متحرك)).

فجاءت قراءة ابي عمرو مهموزةً غير مُثقلة مثلما رويت عن العباس بن الفضل[13]، والروايتان تذهبان إلى اختلاس حركة الهمزة وتخفيفها.

---

(1) ينظر: المحرر الوجيز 1/ 145، 146.
(2) ينظر: المحرر الوجيز 145/ 1
(3) ينظر: معاني القرآن للاخفش 1/ 89
(4) العين 289/ 8.
(5) جمهرة اللغة 1284/ 3.
(6) ينظر: معاني القرآن للأخفش 89/ 1
(7) ينظر: المحرر الوجيز 145/ 1
(8) ينظر: معاني القرآن للنحاس 54/ 1.
(9) معاني القرأن للزجاج136/ 1.
(10) الكتاب 202/ 4.
(11) ينظر: شرح كتاب سيبويه 74/ 5.
(12) الحجة للقراء السبعة 82-81/ 2.
(13) ينظر: معاني القراءات الأزهري1/ 135

ثالثا: الاسكان المحض، وهي رواية اليزيدي وعبد الوارث[1]، وفي هذه القراءة الكثير من التضارب ما بين الرواة، وما حملوا عليه من اسكان بارئكم، وقد كان سيبويه هو الفيصل في البتّ في هذه الرواية، إذ يروي ابن مجاهد أن اليزيدي وعبد الوارث رويا عن أبي عمرو لم يجز جزم (بارئكم) بدليل ما قاله سيبويه[2].

ومن ثَمَّ نجد أن من الروايات مَنْ نقلت عنهم جزم الهمز عن أبي عمرو، وهذا ما رفضهُ الأخفشُ وغيرُهُ، بل ووصفوه بالغلط، وعللوه بأن ظنَّهم هذا؛ لأنهم سمعوا التخفيف فظنوا أنَّهُ مجزومٌ، والتخفيف لا يُفهم إلا بالمشافهة، فضلا عن أنَّ أبا عمرو كان يميل إلى التخفيف، فيرى مَنْ سمعه يختلس بسرعة أنَّه أسكن، وقد غلطوا هذه الرواية بدليل ما حكاه سيبويه عنه أنَّهُ كان يختلس الحركة بكسرهِ كسرًا خفيفاً[3]، فضعف الصوت، وأخفاه عند النطق به كان سبباً في ظنِّ بعضهم أنه أسكنَ الهمزة، ولا سيما أنَّ أبا عمرو كان يستعمل التخفيف في قراءته كثيراً[4].

ومن الجدير بالذكر أن هذا التسكين قد قوبل بالرفض من لدّن المبرد بقوله[5]: ((لا يجوز التسكين مع توالي الحركات في حرف الإعراب، وقراءة أبي عمرو (بارئكم) لحن)).

وردَّ ابن عطية كلام المبرد (ت285هـ) بقوله: ((وهذا التسكين يحسن في توالي الحركات ... وقد روي عن العرب التسكين في حرف الأعراب))[6]، وكان دليلُهُ من مجموعة من أقوال الشعراء، ومنه قولُالشاعر[7]:

فَاليَوْمَ أشربْ غَيْرَ مُسْتَحْقِب

إِثْـمًاً مِنَ الله ولا وَاغِـلِ[8].

فجاء رد ابن عطية وغيره أنَّ هَذا النوعَ من التسكين وردَ في الشعرِ كثيرا[9]، وعَدَّ السَّمينُ الحَلبي (ت756هـ) كلامَ المبرد فيه جرأة، وعدم معرفة بأشعار العرب، وعلل تسكين الهمز، وتخفيفها لتوالي الحركات أنَّ صوتَ الهمزة من الأصوات الثقيلة، لذا عَمَدَ القُراءُ إلى تخفيفها بكل أنواع التخفيف، ففي (بارئكم) ثلاث حركات متواليات الراء المكسورة قبل الهمزة، والراء حرف تكرير، وكسر الهمزة نفسها، وبهذا حَسُنَ التسكين[10].

ومما تجدر الإشارة إليه أَن جمهور القُراء يَرَونَ أَنَّ هذا النوعَ من التخفيف لا يورد إلا عند الضرورة الشعرية، وعدم جوازه في سعة الكلام، أما ورودُهُ في بعض القراءات، فَيَرَونَ أَنَّها جاءتْ على لغةِ بعض العرب، ومنها اسكانُ الهمزة في (بارئكم) فهي لغة بني أسد، وبني تميم وبعض نجد، وجاءتْ لطلب التخفيف عند اجتماع حركتين ثقيلتين من نوعٍ واحد كبارئكم[11].

رابعا: إبدالُ الهمزة ياءً، وهذه القراءة رواها ابن عطية عن الزهري وروي عن نافع[12]، وفي رواية الأشهب عن نافع أنه قرأ (فتوبوا إلى باريكم) بالياء بدل الهمزة[13]، وأجاز النَّحاس إبدال الهمزة ياءً من

(1) ينظر: المحرر الوجيز154/ 1.
(2) ينظر: السبعة في القراءات 155.
(3) ينظر: معاني القرآن للاخفش 89/ 1
(4) ينظر: الحجة للقراء السبعة 77/ 2.
(5) المحرر الوجيز1/ 145
(6) المحرر الوجيز1/ 145.
(7) المصدر نفسه 1/ 146-145.
(8) الشعر والشعراء 117/ 1.
(9) ينظر : المحرر الوجيز1/ 146-145
(10) ينظر : الدُر المصون 364/ 1.
(11) ينظر: البحر المحيط 334/ 1
(12) ينظر: المحرر الوجيز 1/ 146
(13) ينظر: مختصر في شواذ القرآن : 5.

بارئكم[1]، وذهب الطبري إلى جواز الوجهين الهمز والإبدال معًا بقولهم (بارئكم وباريكم)[2]، ويعتمد ذلك على حسب تخريج أصل الكلمة ، فإن أُبدلت ياءً ، فتكون مأخوذة من كلمة بريت القلم، وقيل من البري وهو التراب[3].

فهذه أربع قراءات رواها ابن عطية في تفسيره، ويضاف إليها قراءتها بالوقف عليها عند حمزة بالتسهيل بين بين[4].وقرأها الكسائي على الإمالة وقرأها الباقي على الفتح[5].

الخاتمة

بعد استقراء ظاهرة الهمز عند ابن عطية في المحرر الوجيز وتحليل المسائل الصوتية التي تناولها، يمكن استخلاص النتائج الآتية:

1. تبيّن أن ابن عطية أولى عناية خاصة بالظواهر الصوتية، ولا سيما مسألة الهمز، مستفيدًا من جهود أئمة اللغة القدامى، وعلى رأسهم سيبويه والخليل بن أحمد.

2. اعتمد ابن عطية منهجًا يجمع بين التفسير اللغوي والتحليل الصوتي، من خلال توظيف القراءات القرآنية والروايات اللغوية لإيضاح الظواهر الصوتية.

3. أظهرت الدراسة أن الهمزة صوت ذو خصوصية في العربية، نظرًا لاختلاف اللهجات العربية القديمة في تحقيقه أو تخفيفه أو إبداله أو حذفه، وتعدد آرائهم في مخرجه وصفاته.

4. أثبت البحث أن التنوع في أداء القراء للهمزة له علل صوتية معتبرة، تتعلق بالتخفيف من الثقل، أو مراعاة الانسجام الصوتي بين الحروف، أو تحقيق السلاسة في النطق.

5. كشف البحث عن مرونة منهج ابن عطية في عرض المسائل الصوتية، حيث وازن بين النقل الموثق عن أئمة اللغة والقراء، وبين التحليل اللغوي المباشر وتوجيه القراءات.

التوصيات

1. الإفادة من منهج ابن عطية في الدمج بين الدراسات الصوتية والتفسير القرآني، لما له من دور في خدمة القراءات وضبط الأداء القرآني.

2. إجراء دراسات مقارنة بين جهود المفسرين في معالجة الظواهر الصوتية، بهدف إبراز إسهاماتهم في تأسيس علم الأصوات العربي.

3. العمل على توثيق اللهجات العربية القديمة كما وردت في المصادر التفسيرية واللغوية، لما تمثله من أساس لفهم الظواهر الصوتية.

4. توسيع نطاق البحث في أثر الظواهر الصوتية على رسم المصحف وأداء القراءات، وربطها بالتحليل الصوتي الحديث.

5. إعداد بحوث متخصصة في ظواهر صوتية أخرى تناولها ابن عطية، مثل الإبدال والإدغام، لاستكمال صورة منهجه الصوتي في المحرر الوجيز.

وبذلك، يتضح أن دراسة ظاهرة الهمز عند ابن عطية تسهم في إثراء الفهم اللغوي والتفسيري للنص القرآني، وتفتح المجال أمام دراسات لغوية وصوتية أوسع تربط بين التراث العربي القديم والتحليل الصوتي المعاصر.

---

(1) ينظر: إعراب القرآن للنحاس 1/ 54.
(2) ينظر: جامع البيان 1/ 685.
(3) ينظر: البحر المحيط 1/ 334.
(4) ينظر: البحر المحيط 1/ 334
(5) ينظر: ، إتحاف فضلاء البشر: 391

المصادر والمراجع

1. أثر صوت الهمزة على إنشاء صورتها الكتابية عند الخليل بن أحمد، د. فؤاد رمضان محمد حمادة، مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانية، مج 23، ع1، 2015.
2. أصوات العربية بين التحول والثبات، د. حسام سعيد النعيمي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، سلسلة بيت الحكمة 4.
3. أصوات اللغة، د. عبد الرحمن أيوب، مطبعة الكيلاني، ط2، 1968.
4. أصوات اللغة عند سيبويه أحمد قدوري 5، مجلة مجمع اللغة العربية/ دمشق، مج 86، ج2.
5. أعراب القرآن للنحاس 1/203
6. الإقناع في القراءات السبع، أحمد بن علي بن أحمد بن خلف الإنصاري الغرناطي، أبو جعفر، المعروف بابن الباذش (ت540هـ)، دار الصحابة للتراث، 1431هـ.
7. البحر المحيط في التفسير، أبو حيان محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي(ت 745هـ)، المحقق: صدقي محمد جميل، دار الفكر- بيروت، 1420هـ.
8. تفسير القرآن العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عيسى بن محمد المري، الإلبيري المعروف بابن ابي زَمَنِين المالكي (ت 399هـ)، المحقق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة- محمد بن مصطفى الكنز، الناشر: الفاروق الحديثة- مصر/ القاهرة، ط1، 1423هـ- 2002م.
9. تهذيب اللغة، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، أبو منصور(370هـ)، المحقق محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي- بيروت، ط1، 2001م.
10. جامع البيان في القراءات السبع، عثمان بن سعيد بن عثمان بن عمر أبو عمرو الداني (ت 444هـ)، الناشر: جامعة الشارقة - الإمارات، ط1، 1428 هـ - 2007 م.
11. الحجة للقراء السبعة، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي، أبو علي (ت 377هـ)، بدر الدين القهوجي وبشير جويجابي، دار المأمون للتراث- دمشق/ بيروت، ط2، 1413هـ- 1993م.
12. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت 392هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط4.
13. الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، أحمد بن يوسف بن عبد الدائم المعروف بالسمين الحلبي (ت 756هـ)، المحقق: د. أحمد محمد الخراط، دار القلم- دمشق، 1431هـ.
14. دراسات في علم اللغة، كمال بشر (ت 1436هـ)،دارغريب للطباعةوالنشروالتوزيع.
15. دراسات في فقه اللغة، د. صبحي إبراهيم الصالح (ت 1407هـ)، دار العلم الملايين، ط1، 1379هـ- 1960م.
16. دراسة الصوت اللغوي، د. أحمد مختارعمر، عالم الكتب- القاهرة، 1418هـ-1997م.
17. دروس في علم أصوات العربية، جان كانتينو، الجامعة التونسية، نشريات مركز الدراسات والبحوث الاقتصادية والاجتماعية، 1966.
18. رسم المصحف دراسة لغوية تاريخية، غانم قدوري الحمد، ط1، 1982-1402م.
19. سر صناعة الأعراب، أبو فتح عثمان بن جني

الموصلي(392هـ)، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان ، ط1، 1421هـ–2000م.
20. شرح مقدمة المحسبة، طاهر بن أحمد بن بابشاذ (ت 469هـ)، المحقق: خالد عبد الكريم، الناشر: المطبعة العصرية– الكويت، ط1، 1977م.
21. علم الأصوات العام أصوات اللغة العربية، د. بسام بركة، لبنان ، مركز الأنماء القومي.
22. علم الأصوات عند سيبويه للمستشرق الألماني أرتور شاده، أ.د. صبيح حمود التميمي، مجلة أداب الرافدين، ع 58.
23. العين، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (170هـ)، المحقق د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، 18 ذو الحجة 1431.
24. القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، دار طيبة للطباعة– الجيزة،ط1، 2008م.
25. كتاب فيه لغات القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور بن الديلمي الفراء (ت 207هـ)، ضبطه وصححه: جابر بن عبدالله السريع، 1435هـ.
26. الكتاب، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر، الملقب سيبويه (180هـ)، المحقق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي– القاهرة، ط3، 1408هـ– 1988م.
27. الكشف والبيان عن تفسير القرآن، أبو إسحاق أحمد بن إبراهيم الثعلبي (ت 427هـ)، أشرف على إخراجه: د. صلاح باعثمان، د. حسن الغزالي، أ.د. زيد مهارش، أ.د. أمين باشه، تحقيق : عدد من الباحثين ، أصل التحقيق: رسائل جامعية، دار التفسير، جدة– المملكة العربية السعودية، ط1، 1436هـ– 2015م.
28. لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين أبن منظور الأنصاري الرويفعي الأفريقي (ت 711هـ)، دار صادر– بيروت، ط3، 1414.
29. اللمع في العربية، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت: 392هـ)، المحقق: فائز فارس، دار الكتب الثقافية – الكويت.
30. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الاندلسي المحاربي (ت 542هـ)، المحقق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية–بيروت، ط1، 1422هـ.
31. المدخل إلى علم أصوات العربية، غانم قدوري الحمد، ط1، 1425هـ – 2004م.
32. مشكل إعراب القرآن، أبو محمد مكي بن أبي طالب حموش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (ت 437هـ)، المحقق: د. حاتم صالح الضامن، الناشر: مؤسسة الرسالة– بيروت، ط2، 1405.